البنى الاساسية لثبوت النبوة في المسيحية والإسلام
دراسة مقارنة بين توما الاكويني والعلامة الحلي

م.م. نافع جميل خلف

كلية الإمام الكاظم للعلوم الاسلامية

قسم علوم القران والحديث الشريف/ اقسام النجف الاشرف

ايميل:qulecnjf4@alkadhum-col.edu.iq

الكلمات المفتاحية: المسيحية، الاسلام، توما الاكويني، العلامة الحلي

الملخص :

تبني فكرة هذا البحث محاولة المقارنة بين فكر علمين بارزين ذوا اتجاه عقلي واستعمال للنص الديني على الرغم من كونهما متعاصرين دون أن يلتقيا، احدهما مسلم من المذهب الشيعي وهو العلامة الحلي والاخر مسيحي الديانة من الطائفة الكاثوليكية وهو القديس توما الاكويني.

في محاولة لمعرفة المرتكزات الفكرية لاثبات النبوة الصحيحة من النبوة المدعاة وفق منهجية واسس الديانتين، لإبراز المشتركات في هذا المفهوم الديني (النبوة)، وكذلك على إبراز نقاط الافتراق بين الفكرين الاسلامي والمسيحي فيها أيضا.

وقد تمّ استعراض أهم المعالم والاسس عند هذين العلمين، مع المحاكماة والنقاش والتفضيل بين آرائهما وترجيح احدهما على الاخر في بعضها.

وقد لوحظ أنّ اهم معالم النبوة الحقة قائمة على ثلاثة مرتكزات الاول السيرة الحسنة والثاني المنظومة الفكرية المطابقة للعقل والمعتدل من النص الديني وثالثها المعجزة وانها تأتي مرادفة ومعينة على التشخيص ولا تحتل الدور الوحيد في ذلك الاثبات.

The Basic Fundamentals for Establishing Prophethood in Christianity and Islam
A comparative study between Thomas Aquinas and the Al-Allamah Al-Hilli

Nafea Jameel Khalaf
Imam Al-Kadhim (peace be on him) University College
Department of Quran and Hadith Sciences
Email: qulecnjf4@alkadhum-col.edu.iq

Key words: Christianity, Islam, Thomas Aquinas, Allamah Al-Hilli

Abstract:

The idea of this research is based on an attempt to compare the thought of two contemporary and prominent scholars who did not meet each other with a mental orientation and the use of religious text One of them is Allama al-Hili who is a Muslim of the Shiite doctrine and Saint Thomas Aquinas who is a Christian from the Catholic community.

In an attempt to know the intellectual foundations to prove the trueful prophethood from the claimed prophethood according to the methodology and foundations of the two religions, to highlight the mutual aspects of this religious concept (prophethood), as well as highlight the points of separation between Islamic and Christian thought in it as well.

The most important features and foundations of these two scientists have been reviewed, along with discussion and the preference between their opinions is mentioned and the favorite of one over the other in some of features.

It has been noted that the most important features of truthful prophethood are based on three bases: the first is a good conduct, the second is the intellectual system that is identical to reason and moderation from the religious text, and the third is the miracle that comes synonymous and support to diagnosis and does not occupy the only role in that proof.

المقدمة:

تعدّ مسألة النبوة من أهم المسائل الاعتقادية التي خاض بها العلماء في الاديان كافة، وتكتسب اهميتها من مقدار السلطة المترتبة عليها، باعتبار مدعيها يرتبط بالاله وينفذ أوامره.

كما أنّ دراسة هذا المفهوم وفق مقارنة الاديان يعطينا مساحة ورؤية حتمًا تضيف لبعدنا المعرفي إضافة مميزة. وتزداد هذه الاضافة اذا كانت الدراسة تتناول شخصيات من الديانات لها اثرها الفكري في جيلها وما بعده.ومن هنا بدأ البحث حول النبوة دراسة مقارنة بين توما الاكويني والعلامة الحلي.

لماذا توما الاكويني

ولد في ١٢٢٤م قرب روما وتأثر ودرس الفكر الاوغسطيني وأقام في نابولي الايطالية وتعرّف على العلوم الاسلامية هناك وتعلّم الفلسفة الطبيعية الماورائية وفق تأصيل ارسطو وشراحها الابرز مثل ابن رشد بفضل الانفتاح العلمي الذي شهدته ايطاليا حينها.

وانتقل الى باريس مكملا دراسته ضمن الرهبنة الدومنيكانيةوهناك تعمق في الفلسفة الالهية لينتج بمرور الزمن كتاباته اللاهوتية للمعتقدات المسيحية وتفسيرات الكتاب المقدس ولكن على ضوء مبادئ الفلسفة الارسطية وبمزيد من التعمق الديني للقضايا الفلسفية.

ومن عقده الرابع صعودًا وبين إقامته في باريس و انتقاله منها الى نابولي او روما بدأ نتاجه العلمي الاشهر؛ اذ كتب في الردود على المسلمين فلسفة واعتقادا وكتب أيضًا كتابه (الخلاصة اللاهوتية) التي تمحورت حول المحاور الاربع (الله) و(انبثاق الخلائق) و(عودة الخلائق الى بارئها) و(الثالوث والتجسد والاسرار السبعة).

واستمرت كتاباته وتعليمه وشرحه وتفسيره للكتاب المقدس بعهديه، مراعيًا فيها ما وصله من آراء أسلافه ومستعينا برؤيتها الفلسفية في فهم عباراتها.

وتستمر تنقلاته بين باريس ونابولي وغيرها وتستمر معها كتاباته المجيبة عن تساؤلات شعبية تبحث عن اسئلة علمية مثل كتابه عن وجود الشر بعد تسالم سبقه بعدميته. حتى سمّي بمعلم المعلمين.

وباستمرار تنقلاته ونتاجه العلمي الذي لم يكن مقتصرًا على البعد العقدي او التفسيري فقط بل تجاوزه للتنظير السياسي ونقده وتدخله فيه واحتكاكه ومجالسته للسلاطين[١].

ويكتسب القديس توما اهميته في الفكر المسيحي من عدة جوانب:

١. انه استطاع اعادة صياغة الافكار والتعابير عن اللاهوت المسيحي بالمصطلحات وفي بعض الاحيان بالمنهج الارسطي واعتماده التحليل والتركيب منهجا اثباتيا[٢]. وبذلك يمكن عدّه ممن ابدع واشتهر بمحاولته عقلنة الايمان المسيحي بعد أن كان قائما على الاطمئنان

القلبي فأهم جوانبه واعتباره الحقيقة الدينية بالثالوث أعلى اعتقادًا من ادراكه بالعقل. فقد جمع في خلاصته بين الحب والحكمة مما عدّه البعض هو الغاية من تجسد المسيح[٣]. وهو ما عبر عنه بالمسيحية الارسطية[٤]

٢. اطلاعه وتأثره ونقده على التراث الاسلامي سواء أكان ببعده الكلامي أم الفلسفي فقد اطلع على فكر (الكندي، الفارابي، الغزالي، ابن باجه وبن الطفيل) وأيضًا تناول كثيرًا (ابن سينا وابن رشد) ليكون الفكر التوماوي لا محيص من له عن مصادره الاسلامية وسط جدل عن مقدار ذلك التأثير المصدري بين البناء الأسي له أو الاخذ به ناقدًا ومميزًا له بين القبول لبعض والرفض لبعض[٥].

٣. إنه ليس مفكرًا لاهوتيا فقط بل عدّته الكنيسة الكاثوليكية من القديسين، اذ طوبته بذلك سنة ١٣٢٣م، وادرجت سيرته[٦] ضمن الـ(سنكسارات)[٧] التي تتلى في الكنائس الشرقية باللغة العربية.

٤. إليه ينتهي تيار فكر انتسب إليه بأسم (التومائية) او المدرسية، وان كانت قد تعددت حقبها، فقد كانت الحقبة الاولى للفترة التقريبية (من مجيء توما لغاية ١٥٠٠م) والثانية (من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر) والثالثة (من منتصف القرن التاسع عشر ولغاية اعتماد التومائيةكاحد الفلسفات الرسمية للكنيسة الكاثوليكية بموجب الرسالة البابوية سنة ١٨٧٩م) ، لتبدأ بعدها ولغاية الان التومائية الحديثة[٨]. اذ اثر في تعليمه من حيث المنهج او النتائج في الاجيال العديدة التي تلته ربما يكون (دانتي) صاحب (الكوميديا الالهية)[٩] احدهم وليس أبرزهم.

٥. لم يعدّ من رجالات الكنيسة الكاثوليكية فقط بل عرفته الكنيسة الشرقية الارثوذكسية عبر كتبه التي ترجمت لليونانية من اللاتينية[١٠].

٦. إنه اصل للمباني العقلية وبالدليل على شرعية القوانين الوضعية الامر الذي ترك أثره لاحقًا على التشريعات القانونية الوضعية في اوربا، فانه يعتقد ان هناك ثلاثة قوانين تحكم الانسان[١١]، تبدأ من القوانين الالهية ويسميها بالقانون الابدي الذي لا يطاله تغيير ومنه القوانين الكونية، والقانون الطبيعي والذي هو ما ارتكز في ذات الانسان من إدراكه لحسن الاشياء وقبحها، والثالث القانون الوضعي الذي لابد ان يستند الى القانون الطبيعي وينظم تلك الرغبات الانسانية وفق حيثيات الزمان والمكان للعيش وفق القانون الابدي[١٢].

ولماذا العلامة الحلي؟

هو ابومنصور الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلي واليه تنصرف عند الاطلاق. من اكابر علماء الامامية في القرن السابع الهجري، في سنة (٦٤٨هـ) بمدينة الحلة العراقية ولد ونشأ وترعرع ودرس واصبح الملاذ العلمي للشيعة فيها، ومنها انطلقت شهرته العالمية.

ولم تكن الاجواء السياسية هادئة في زمنه، اذ كان للمغول غارات وصولات على البلدات الاسلامية الا انه بفضل حسن تدبيره استطاع ان يجنب الحلة حينها تلك الويلات.

من أبرز أساتذته خاله المحقق الحلي في الفقه والخواجة نصير الدين الطوسي في الفلسفة والكلام.

وحضر الدروس أيضًا عند علماء المذاهب الاخرى مثل: برهان الدين النسفي وشمس الدين محمد بن محمد الكيشي الشافعي.

وبسبب مناظراته العلمية وافقه الواسع أعلن السلطان المغولي محمد خدابنده تشيعه وأعلن التشيع مذهبًا رسميًا لبلاد ايران، فكثر الترحال للعلامة حتى أنه اضطر لإنشاء المكتبة السيارة التي ترافقه في حله وترحاله

فاق مشايخه ممّن تتلمذ على يديهم أو حضر عندهم أو نقل عنهم مجازًا الـ(٢٦) شيخًا ومن كل المذاهب الاسلامية، وتجاوز عدد تلامذته المبرزين إسلاميا الـ(٣٣) كل له شأن يذكر وترجمة تعطر. وتنوعت مؤلفاته التي عدها البعض بـ(٩٦) بين كتاب بمجلدات او مجلد واحد أو رسالة أو شرح أو حاشية على كتاب في شتى أبواب العلم الديني بدءًا بصول الفقه ومرورًا بالتفسير والدراية والحديث والادعية والرجال والفقه والكلام والمنطق والفلسفة والطبيعيات والعرفان وختاما بالنحو والادب.

توفي في الحلة سنة ٧٢٦هـ ق. ودفن في النجف الاشرف[١٣].

ويكتسب العلامة الحلي أهميته الاسلامية والشيعية من عدة مميزات منها:

١. إنه اعتمد العقل دليلًا أصيلا في المسائل الكلامية المبتنية على العقل ولم يجعل النقل دليلًا في المسائل المدركة عقليا وهو ما حدا بالحوزات العلمية من اعتماد كتابه (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) منهجا علميا دراسيا في مدارسها، والكتاب بالأصل هو شرح لرسالة أستاذه الخواجه نصير الدين الطوسي سماها (تجريد الاعتقاد) وكثرة الشروح على التجريد اوصلها البعض الى (٦) شرحا ولكن افضلها واشهرها شرح تلميذه العلامة الحلي، حتى شاع القول بالنص او معناه (لولا كشف المراد لما فهمنا مراد تجريد الاعتقاد)[١٤].
٢. ولم يقتصر المنهج العقلي عند العلامة على اعتماده للعقل في المسائل مدار مساحة العقل فقط بل حاول ان يؤصل للمنهج العقلي في المنهج النقلي نفسه من طريق محاولته ابراز البنى العقلية للحديث الشريف وهو ما بدا واضحًا في كتابه (الالفين في أمامة امير المؤمنين)[١٥] والذي حاول من خلاله الاثبات بألف دليل إمامة علي بعد النبي عن طريق ايراده الادلة العقلية او الادلة النقلية التي أعاد قراءتها بصورة القضايا المنطقية من مقدمات أو مقدم وتالٍ وصولا للنتيجة.
٣. انه ترك أثرا فقهيا كبيرا تمثل في كتبه الفقهية التي كتبها سواء أكانت في ذكر الاراء الفقهية وفق رأيه[١٦]، او أنه استعرض آراء الفرق الاسلامية الاخرى[١٧] او باستعراضه للاختلاف بين ابناء المذهب الشيعي الامامي الواحد[١٨]، ومن هنا اصبح ذكر العلامة الحلي من الاساسيات في البحث الفقهي الذي لا يمكن تجاوزه في الاوساط الحوزوية.
٤. له النتاج العلمي الكبير في أصول الفقه ومما يكشف أهمية العلامة بهذا الصدد مضافًا لتعدد تصنيفه فيه واعتماد طلبته على آرائه في هذا الصدد حتى أن كتابه (تهذيب الوصول الى

علم الاصول) قد اعتمد منهجا دراسيًا في الحوزات العلمية في العراق وجبل عامل ولغاية القرن الثاني عشر الهجري اذ تم اعتماد كتاب معالم الاصول بعده[١٩].

٥. إنّه ذو أثرٍ سياسي في افكاره فاليه ينسب تشيع دولة ايران بسبب تشيع حاكمها واستمر في نتاجه العلمي الكلامي بعد هذا الحدث مما يعد عاملًا اساسيًا في تغير مجرى الاستدلال والكتابة عند العلامة عما سبقه فقد اصبح تحت ضغط الحفاظ على هذا المنجز ولذا استفاد من المكتبة السيارة التي وضعت تحت خدمته.
٦. تحوله الى شخصية جدلية من قبل بعض علماء المذاهب الاسلامية الاخرى اذ كتبت بعض الكتابات في الرد عليه او محاولة النيل من شخصيته، ومكمن القوة في هذا الموضوع ان مؤلفاته التي تعرضت للرد أصبحت مؤلفات مناقش في ادلتها مما يمكن الباحث من الاطلاع على مكامن الضعف او القوة فيها. ومن اشهر كتبه (منهاج الكرامة في الامامة) الذي رد عليه ابن تيمية بكتابه (منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية)[٢٠].
٧. اهتم بالمدرسة المشائية فله العديد من الشروحات والتعليقات على اقطاب الفلسفة الاسلامية ومرتكزاتها العقلية والمنطقية ومن ذلك (الاشارات الى معاني الاشارات)[٢١] و(إيضاح التلبيس من كلام الرئيس)[٢٢] و(إيضاح المعضلات من شرح الاشارات)[٢٣] و(بسط الاشارات الى معاني الاشارات)[٢٤] و(المحاكمات بين شراح الاجازات)[٢٥] ولكن للاسف جميعها اليوم مفقود. وغير خفي ان كتاب (الاشارات والتنبيهات) من مؤلفات الشيخ الرئيس بن سينا.

ولكل ما سلف فان الداعي لاختيار المقارنة بين هاتين الشخصيتين عدة اسباب:

١. إنهما متعاصران من حيث الزمان على الرغم من البعد المكاني بينهما وعدم لقائهما ولو احتمالًا. حيث تمتد حياة القديس توما الاكويني بين (١٢٢٥- ١٢٧٥م) اي (٦٢٢-٦٧٤هـ) وتمتد حياة العلامة بين (٦٤٨-٧٢٦هـ) اي (١٢٥١-١٣٢٦م).
٢. إن كلا العالمين تجاوزت افكاره وسمعته وتأثيره البعد المكاني والزماني له، واوجد تأثيرًا في الحدث المعاصر وفي الجيل اللاحق.
٣. ان كليهما كان لفكره تاثيرٌ واقعي على مستوى تشكلات السياسة وأنه لم يكن بمعزل عن تطوراتها.
٤. كلاهما امتاز بترجيح المعقول على المنقول وإعطاؤه اهمية، وهو ما يستدعي تقاربًا فكريًا مفترضًا.

اهمية الدراسة:

جاءت اهمية الدراسة من اهمية الموضوع نفسه باعتبار أن هناك ثلاثة محاور غير معلنة في الدراسة وهي فكر توما الاكويني وفكر العلامة الحلي وموضوع النبوة الذي يعدّ معتقدًا توحيديًا مشتركًا بين الديانات السماوية والابراهيمية خاصة، فنجد الحاجة لتسليط الضوء ومعرفة اراء الديانات المختلفة في موضع واحد وهو ما يعدّ من أهم مواضيع مقارنة الاديان الا أن الخصيصة في هذا البحث انه ركز على شخصيتين يعدّ الباحث أن

هناك جهة اشتراك بينهما وهي البعد العقلي وارتكازه في البنى الفكرية لديانة كل منهما على أساسه.

اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى الحصول على المنهج والطريقة التي يسلكها كل من العلمين في موضوع واحد ومدى اتفاق النتائج واختلافها بينهما من حيث الاطار الفكري وليس من حيث تشخيص تلك النتيجة وتحديد مصداقها.

مشكلة البحث

يمكن تلخيص إشكالية البحث بالاتي :

١. ما المنهجية التي اتبعها القديس توما الاكويني لتحديد النبي الصادق من النبي المدعي، وكذلك الحال في العلّامة الحلّي؟
٢. ما نقاط الافتراق و الاتفاق بين المنهجيتين؟
٣. هل يمكن الاستفادة من منهجية احدهما في رفد الآخر أما أن الامر يعدّ منهجية أحدهما غير صالحة للانطباق على موضوع الاخر بحكم التغاير الديني بينهما؟

المطلب الاول: الأدلة عند القديس توما الاكويني

وفي هذا المطلب سوف نحاول استجلاء وقراءة اهم افكار واستدلالات واراء الاكويني بشأن التمييز بين النبوة الصادقة عن غيرها والمحددات التي توضع لادراك إحداهما ورفض الأخرى.

الفرع الاول: الأدلة النقلية

يقصد بالنقل كل ما ورد في الكتاب المقدس بعهديه ورسائل الرسول بولس، وهنا نحاول بيان الأدلة التي يستند إليها توما الاكويني لبيان الدعوة الصادقة من غيرها. واهم هذه النصوص او الادلة التي يستند اليها هي:

(احذروا الانبياء الكذبة، يأتونكم بثياب الحملان، وهي في داخلهم ذئاب خاطفة، فمن ثمارهم تعرفونهم) متى ٧/١٥-١٦.

يعدّ هذا النص أصيلاً عند الاكويني في بيان آلية التمييز بين النبوة الصادقة من غيرها، وهو يسمه الى أربعة مفاصل مهمة وهي:

١. تحديد نوع العدو، (احذروا الانبياء الكذبة)
٢. طريقة نصب الفخ، (يأتونكم بثياب الحملان)
٣. تحديد نوع الخطر الذي يدهم الانسان منهم، (وهي في داخلهم ذئاب خاطفة)
٤. يضع آلية التمييز للمحسن منهم من المسيء، (فمن ثمارهم تعرفونهم)[٢٦].

ويعتمد تحديد مفهوم النبي في النص الانجيلي على اربعة محددات عند الاكويني وعلى ضوئها جميعًا يتم الايضاح التام لهذا المفهوم الديني. وهذه العناصر هي:

١. **الوحي**: يعدّ حجر الزاوية والمرتكز الاساس الذي تبتني عليه الديانات الابراهيمية مفهوم النبوة، فلايمكن تصور النبوة دون الوحي، نعم قد يحصل التمايز في كيفية تحققه او ألوانه، فتارة يعدّ الوحي ملكاً ينزل على الرسول وتارة يعتبر الرؤيا في المنام وحيا وتارة إلقاءً من غيب على الصدر او طرق للسمع.
والاكويني في رسالته الابرز في هذا الموضوع يؤكد أن الوحي الملائكي واضح محدد ولكن الطرق الاخرى يلازمها أمر آخر يترتب عليه شيء آخر لابد للنبي ان يمتلكه حتى يمكن تحقق الإيحاء الإلهي فيه.
٢. **الفهم**: ويؤكد الأكويني بانه من أهم الاشياء التي تلازم الوحي من جهة المتلقي ومن دون الفهم فإن الوحي لا يمكن أن يحقق الهدف المراد منه، وتؤكد بعض النصوص من العهدين أهمية ذلك مثل:

- (لا يفعل السيد الرب أمرًا ما لم يكشف سر هذا الامر لانبيائه) سفر عاموس (٧/٣)، وهذا النص واضح منه ان الفعل الالهي وإرادته لا يمكن ان تتم من قبله لعباده الا بواسطة كشفه لتلك الارادة الالهية، ولا يختص ذلك بالانبياء فقط، بل يمكن كشف تلك الارادة الالهية لغيرهم من البشر كما سوف يرد في النقطة الاتية.
- (في السنة الثانية من ملك نبوخذناصر حلم نبوخذناصر احلاما فانزعجت روحه وطار عنه نومه. فامر الملك بان يستدعى المجوس و السحرة والعرافين و الكلدانيون ،ليخبروا الملك با حلامه فاتوا و وقفوا امام الملك) سفر دانيال ٢/٢-٣ و ايضا (انا نبوخذناصر قد كنت مطمئنا في بيتي وناضرا في قصري. رأيت حلما فروعني والافكارعلى فراشي ورؤى راسي افزعتني.
- فصدر مني امر باحضار جميع حكماء بابل قدامي ليعرفوني بتعبير الحلم. حينئذ حضرالمجوس والسحرة والكلدانيون والمنجمون وقصصت الحلم عليهم فلم يعرفوني بتعبيره. اخيرا دخل قدامي دانيال ...) سفر دانيال ٤/ ٤-٨. وايضا (وَأَمَّاعَنْ تَكْرَارِالْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ،فَلأَنَّ الأَمْرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ، وَاللهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ) سفر التكوين ٣٢.

في هذه النصوص الثلاثة أعلاه تؤكد نصًا بان الله أرسل وحيًا الى غير الانبياء وفي الوقت نفسه المشكلة الاساس في هذا الوحي ليس الوحي نفسه بل في فهم هذا الوحي والاستجابة لهذا الوحي لانه لم يكن هناك بنى تحتية وادوات لفهم هذا الايحاء الالهي.

٣. **الإعلان**: وهو عملية إبلاغ الناس بما اوحى به اليه وتعدّ من اهم مهام ووظائف النبي فلا يمكن تصور ان هناك نبي يكتم وحي الله ومن اهم النصوص التي استعان بها الاكويني على هذه الفقرة، ما ورد على لسان اشعيا (ما عرفته من رب الجنود اعلنته لكم) ٢١-١٠.
٤. **المعجزة:** وهي البينة التي يعتبرها الاكويني أمرا ضروريا في اثبات المدعى ولكن هناك امران يحددهما الاكويني يعتبران مقيدين لرؤية الاكويني حول المعجزة وهما:

- ان الامور التي توحى هي امور تتخطى الفهم البشري لها ويعدّ ذلك اعلانًا لها.

- إنّ البشر هم عادة من يطالب بالاثبات والبينة التي تثبت المدعى.

وهنا يمكن القول بأنّه ليس دائمًا الامور التي توحى هي التي تتخطى الفهم البشري فربما كان الايحاء بحقائق علمية او يمكن إرشادهم عبر الوحي لسلوك طريقة تجربة تتلاءم مع مدركات البشرالعقلية نعم توجد بعض الوحي مخالف للمدرك البشري كما حصل بين موسى والعبد الصالح، كما أن اعتبار البشر يطالبون بالبينة ايضا ليس مطلقًا فهناك قسم من البشر عند حصول الدعوة لا يطالب بالبينة وهذا نابع من الثقة في المدعي فيصدق على دعواه[٢٧].

كما ان الاجتراح والاتيان بالمعجزات لا يمكن أن يكون من دون شروط أو بالمطلق فأول تلك المحددات التي يستند اليها الاكويني هي اعتباره ان المعجزة لابد أن تقع ممن يفسرون نبوءة عن المسيح وليس من يتنبأون بشأن المسيح، اي إن محورية المسيح هنا استستند عليه ادعاء النبوة وايضا هذه المحورية لا يعني امكانية ان تكون النبوءة تتعلق بالمسيح في أيّ وجه كان بل لابد ان تؤدي الى الطريق الذي يريده المسيح وهذا لن يتم الا بمعونة الروح القدس[٢٨].

الفرع الثاني: وجوه النبوة الكاذبة

ولما كانت النبوة الصادقة محددة المعالم واضحة الاتجاهات من حيث المصدر والغاية والوسيلة، يكون لابد من معرفة المحددات للنبوة الكاذبة.

ومن اهم هذه المحددات :

١. **بُطْلان التعليم**: يقصد به ان المنظومة الفكرية والحقائق التي يطرحها النبي لابد ان تكون صحيحة ولا يمكن للنبي ان يعلم اشياء خطأ وهذا ملازمة العصمة في التبليغ على الاقل لان كلام النبي تعليم والاخذ منه تعليم فلا يمكن ان يكون غير معصوم وفي الوقت نفسه نشترط الاخذ لهذا التعليم.

وفي هذا المحدد يعتبره الاكويني من اهم واجبات ومهام النبي[٢٩] مستندا الى نصوص مقدسة لاثبات هذا المحدد، مثل:

(اوحيت كلمة الى دانيال وكانت كلمة حق) سفر دانيال ١/١٠. وأيضًا مخاطبًا بني اسرائيل (انبياؤك لم يروا لك سوى رؤى الكذب والباطل) مراثي ارميا ١٤/٢. فان ميزان التكذيب في التعليم عند الاكويني قيام الانبياء الكذبة بالتعليم الخطأ كأن يجعلوا الشر خيرا والخير شرا، وتارة يتكلموا بأمور الغاية منها إرضاء العامة وليس نقل الحقيقة او انه يتكلم بالكذب المخالف للواقع أو أن نرى ما يرفع يحط والعكس. وهنا التعليم تارة يكون في العقيدة او الاخلاق وتارة ما يكون مخالفا لما جاء في موثوق الشريعة، يضرب مثالا على ذلك افتاء البعض بمنع الصوم بنذر في الشريعة المسيحية مع ان النص الديني يقول :(انذروا واوفوا نذوركم للرب) مزمور ١٢/٧٦[٣٠].

وبهذا اتضح جليًا ان الاكويني يترك مجالًا للعقل لتحديد التعليم الصحيح وهذا الدور تارة يمارس بشكل اصيل عندما يميز بين التعليم الصحيح والخطأ في المسائل الاعتقادية

العامة وفي المسائل الاخلاقية الكبيرة مثل ادراك الشر ومعرفته وعدم امكانية دعوة النبي له.

ويمارس العقل دورًا ليس تأسيسيًا بل استنباطيًا في الشريعة عندما يرفض رأيًا شرعيًا غير مبني على استخلاص وقراءة صحيحة للنص الديني.

٢. **بطلان الوحي**: إن الوحي بأنواعه كما سلف هو علامة النبي ووسيلته للارتباط بالمطلق، وبتعدد انواعه ووسائل التواصل فيه يؤدي هذه غاية، الا انه ايضا يوجد حالات يشتبه بها الآخرون فلا يميزوا بين الوحي الصادق من عدمه وهو عين ما اعتبره الاكويني من وجوه النبوة الكاذبة هو بطلان الالهام.

وفي إطار عالم الثبوت فان الاكويني يحدد أن الوحي هو من روح القدس الذي يمثل عنصر الارتباط بين الذات الاحدية والمخلوقات ففي النص الديني (ما من نبوة على الاطلاق جاءت بإرادة انسان. ولكن الروح القدس دفع بعض الناس الى أن يتكلموا بكلام من عند الله) رسالة بطرس الثانية ٢١/١.

فالوحي في عالم الثبوت لابد ان يوحي بالحق والخير وهنا تأتي محددات لكي يعرف الانسان نفسه هل الفكرة التي جاءته من الله أم من الشيطان، وهذه المحددات يجعلها الاكويني بعدة محاور:

إن الايحاء ربما يكون من الشيطان، وهذا الايحاء الشيطاني عادة يؤطر بإطار المقبولية كأن يكون الوحي بأمر شر ولكن يعلله بأنّه الغاية من الخير او هذا الامر اوله شر واخره خير، لأنّه لا يجب ان يفعل من اجل الخير، وهذا ما ورد فيه نهي في النص الديني (فلماذا لا نفعل الشر ليجيءَ منه الخير) الرسالة الى روما ٨/٣[٣١].

وهذه الوسيلة في التحديد هي قابلة للانطباق في عالم الثبوت وفي عالم الاثبات، اي انه يمكن للمرء ان يعرف من ذاته ان ما اوحي اليه حق ام باطل وحي ام القاء شيطاني، وفي الوقت نفسه تصلح ان تكون اداة للتمييز بين الناس لمن ادعى النبوة هل نبوته صحيحة ام باطلة باستعمال هذا العنصر.

وربما يكون الايحاء من أفكار بشرية يؤطرها الانسان بإطار القداسة غير المعلنة اي يتقبلها الانسان بالقبول ولا يطالب لها بدليل ولا يقبل التنازل عنها بل يعدّها وحيًا منزلًا غير قابل للخطأ او الاشتباه او النقاش.

ويضرب الاكويني على هذه الحالة مثال من قبل كلام الفلاسفة من دون دليل او عن تقليد او اعجاب، او إن الامر يطال الفلاسفة انفسهم عندما يقدمون للناس امورا مقبولة عندهم ولكن بالواقع هي باطلة لانها من وحي الوهم والهوى، مستندًا الى نص ديني يقول: (قال لي الرب، ويل للانبياء الحمقى، الذين يتبعون هواهم، وهم لم يروا رؤيا) سفر حزقيال ٣/١٣. وايضا (هم يتكلمون بما يتراءى لهم، لا بما اقول انا الرب) ارميا.

وهنا يؤكد الكويني العلامة التي ينبغي رفض القول البشري على ضوءها ؛ اذ يفهم من كلامه أنّ هناك محددان لقبول القول العلمي والفلسفي وهما: تقبل العقل البشري له على ضوء دليل استنباطي وتسلسل منطقي، ويضرب مثالا على ذلك اراء الفلسفة الافلوطينية القائمة على اساس الادراك العرفاني للحقائق، لكون تلك الحقائق لا يمكن البرهنة عليها وبالتالي لا يمكن اثباتها للاخرين. والثاني عدم مخالفته لصريح الايمان، مثل قول بعض الفلاسفة بقدم العالم فإن ذلك وفق الاكويني يخالف صريح الايمان وان الكون مخلوق وورد ذكر طريقة الخلق مفصلا في العهد القديم، وهذا الدليل من الاكويني يستعين في اثباته على النص الديني القائل: (وانتبهوا لئلا يسلب احد عقولكم بالكلام الفلسفي والغرور الباطل القائم على تقاليد البشر لا على المسيح ففي المسيح يحل ملء الالوهية كله حلولًا جسديًا وفيه تبلغون الكمال هو راس كل رئاسة روحانية وسلطة) رسالة لاهلكولوسي ٢/٨[٣٢]. ومن هذا النص يتبين ان النهي وارد على عموم الفلسفة الا أن الاكويني قيد ذلك بان المقصود منها الفلسفة القائمة على غير دليل او انها تخالف صريح الايمان.

٣. **بطلان النية**: والغاية والدافع الاساس الذي يدفع النبي للعمل، وهنا هي ضابطة معيار مزدوج لمعرفة صدق النبي من كذبه اولا عند نفسه عندما يجد الدوافع التي تدفعه لعمل ما او الغاية هي ليس المعيار الذي وضعه الايمان والنص الديني او الفطرة السليمة، ومعيار للاخرين لتقييم العمل ومعرفة صدق نبوة النبي اذ يمكنهم ملاحظة ذلك من نيته والغاية المترتبة على تلك الدعوة.

يستعين الاكويني في فكرته هذه على معيارية النص الديني الذي يحدد النية وكيف نكشفها او نكشف عنها. فينقل: (الذي يتنبأ يكلم الناس بكلام يبني ويشجع ويعزي يبني ليجعلهم اتقياء ويشجعهم ليجعلهم مستعدين للاعمال الصالحة ويعزيهم ليجعلهم صابرين في الصعاب اذا فتش احد في تعليمه عن شئ اخر غير منفعة الشعب فهو نبي كاذب) رسالة كورنتس ٣/١٤. و(وتدنسني عند شعبي لحفنة شعير وفتات خبز) سفر حزقيال ١٩/١٣. و(نحن لا نتاجر مثل كثير من الناس بكلام الله) رسالة كورنتس ١٧/٢.

وهنا يبرز الاكويني معيارية خدمة الشعب كاشفا عن نية حسنة وليست نية سوء واستحواذ، وايضا جاعلًا عدم الرغبة في مال او جاه او سلطة ايضا معيارًا للنية الحسنة[٣٣].

٤. **بطلان السيرة**: وهو العنصر الرابع الذي يعدّ كاشفًا عن صدق الدعوة من كذبها، فان الانسان قد يستطيع خداع الناس باقواله لعدم ادراكهم كيفية التمييز للصح من الخطأ في الافكار، ولكن تبقى السيرة من اهم الكواشف عن صدق الدعوة من كذبها.

والنص الديني الاتي يعدّه الاكويني كاشفًا عن هذا المعيار، اذ يقول: (كما تكلم من قديم الزمان بلسان انبيائه القديسين) لوقا ٧٠/١، لان الرب لا يمكن ان يتكلم بلسان من هم سيرتهم قبيحة تخالف تعاليم الرب او تخالف الفطرة الانسانية او العقل الصريح، والا تحول الى انسان ليس يخالف ذاته او يخدع الناس فقط بل ان الرب يشكو منه وفق قول الرب على

لسان ارميا: (النبي والكاهن كافران وفي هيكلي وجدت شرهما)١١/٢٣، وهما النبي والكاهن اللذان يخالف كلامهما ودعوتهما لسيرتهما كما يرى ذلك الاكويني[٣٤].

الفرع الثالث: ثمار النبوات

لانّ النبوة ليس مطلوبا بذاته للنبي انما هو مطلوب لغايته وهي تحدد حسب نوع النبوة فتارة الغاية هداية الناس وربما تكون غايتها اضلالهم كما في النبوات الكاذبة، وهذه الثمار لها تماس مباشر بموضوع السيرة ولا يعني ان الثمار كلها متعلقة بالسيرة، ولكن بطلان السيرة ليس أمرًا سهل الادراك وفق احتمالات انطباق الظاهر مع الباطن او ان الباطن متابع للظاهر او ان الغاية المخالفة بينهما لاستمالة بعض القلوب الضعيفة وغيرها من الاحتمالات. ولذا نجد الاكويني يعطي اهمية لهذا الامر فيحاول مزيد البيان بهذا الموضوع ليؤكد على ان السيرة تقرأ من خلال عدة محاور وهي:

١. أردية النبوة الصادقة ٢. ثمار النبوة الصادقة ٣. أردية النبوة الكاذبة

الاردية الدالة على النبوة الصادقة:

وهذا الموضوع محاولة لوضع معيارية لتقييم النبوة الصادقة ليمكن للإنسان إدراكها ويتعلق ذلك بالانسان باعتباره المخاطب في التكليف الالهي، نعم وظيف الاله عدم اضلال عباده فلا يمكن للباري تعالى وفق قاعدة الحسن والقبح العقليين ان يكلف عباده ويرسل لهم الرسل وفي الوقت نفسه لا يرشدهم بأعلام الهداية او لايبالغ في هدايتهم.

وهذه الاردية وفق الاكويني هي:

- **العبادة**: ويقصد بها عند الاكويني عموم العبادة لله ولكنه ركز نظره وقلمه على الصلاة لانها من اهم مميزات التعبد لله والتوجه اليه، والعبادة هنا ينالها محذوران على المؤمن ان يوازن بينهما اذ ينبغي الصلاة لله وحده وليس للناس وهنا تأتي اهمية الصلاة غير الجماعية ولكن في الوقت نفسه نجد مدحًا للصلاة بالجمع اذن الاله يريدنا ان نصلي جمعًا ايضا ولكن قلوبنا وكأنها متوجهة اليه منفردين.
- **العدل**: وهو رداء الله ولا يلبسه الا للخلص من عباده، والاكويني يعدّه الرداء الثاني الدال على سمة ايجابية في النبوة الصادقة، والعدل يلازمه عند الاكويني فعل الخير وانصاف الناس من النفس.
- **التوبة:** وهي السعي الى رضوان الله والتذلل له والشعور بالاسف على التفريط في جنب الله وعدم اعطاء العبادة والتوجه لله حقه.
- **البراءة:** وهو الحب للناس وتمني الخير لهم وعدم السعي للاستحواذ على منافعهم ويصير الاستحواذ هو الغاية والاساس الذي تبتني عليه الدعوة التي يسعى النبي الكاذب لانتشارها[٣٥].

ثمار النبوة الصادقة:

فإذا كانت هذه الاردية اعلاه هي التي ترتديها النبوة الصادقة فسيكون لها ثمار تعرف بها، وهذه الثمار هي نتاج ذاتي لها وليس غاية للدعوة وشياع الامر، بل ان الانسان يستطيع ان يميز من الثمار نوع الشجر والشجر لم يك غايته من انتاج الثمر ان ينال الحظوة عند الناس.

وهذه الثمار هي:

- **حب الله والقريب**: لان الحب يملأ القلب فيض من حوله على من جاوره او حاوره، والله هو المجد الاوحد واليه تنتهي الغاية القصوى في ذلك، وكلما صار في القلب حبًا وزادًا، صار في القلب تواضعًا وظهرًا، و(اذا اراد احد ان يختار مجدًا ما واظهر تواضعًا خارجيًا عندها فالثوب لا يناسب الثمرة)[٣٦]
- **الكلمة الصالحة:** ويستند الاكويني بقول لأحد الاعاظم (مهما بشر الاشرار بالصلاح يصعب عليهم ان لا يطلبوا يوما ما يرغبون به في سرهم)، لا اللسان دليل على القلب وهو مغرفته ومن القلب يغترف اللسان فيلقي به للناس.
- **العمل الصالح:** وهو خير ثمر ومن اكثر المميزات التي بها يدرك الانسان طبيعة عمله وبه يدرك الناس طبيعة عمل الاخرين، وهو ميزة تشق على المرائين انتحالهم وحتى لو انتحلوهافإنّها تظهر في المواقف او عند طول الوقت.
- **الصبر على المحن:** والصبر يحتل اهمية كبيرة عند الاكويني بحيث جعله احد الثمار الاربعة للنبوة الصادقة وهو في الوقت نفسه ميزة مهم بها يمكن التمييز بين النبوات، وهذه الثمرة ايضا فيها صفة المطاولة في الفعل فان المرائي مهما اراد ان يتظاهر بالصبر فان البلايا تفضحه[٣٧].

الاردية الدالة على النبوة الكاذبة

وفي الوقت الذي يبادر الاكويني لبيان الثمار للنبوة الصادقة وعكسها يعدّ ثمرًا للنبوة الكاذبة الا انه يبادر الى تخصيص ثمارًا بالنبوة الكاذبة ويعطيها استقلالا واهمية.

وهي:

- **اختطاف خيرات النفس:** إذ إن الانبياء الكذبة يختطفون من القلوب الايمان ومن الجسد خيراته المادية لان غايتهم مادية وحتى لا يبالوا بإراقة الدماء لأجل ذلك.
- **تبديد جماعة المؤمنين:** وهذا التبديد سببه كما يرى الاكويني هو الابتعاد عن تعاليم الكنيسة وبهذا فهو يربط الهداية بتعاليمها ولكن ماذا لوكانت الغاية من ذلك هو المحاولة لاعادة الهداية للناس او محالة لهداية الكنيسة ذاتها.
- **عدم الشفقة:** لان الغاية ليست الناس بذاتهم أو هدايتهم عند الانبياء الكذبة بل الغاية هو الاستحواذ والسيطرة وبالتالي فإنّ الناس أمامهم مجرد خراف في القطيع ما يصطاد فهو مغنم والا فلا رأفة على الهالك او الهارب.
- **المواظبة على الشرور:** فهم لا يكتفون او يشبعون بل يبقوا هكذا الى أبدهم[٣٨].

المطلب الثاني: ادلة النبوة عند العلامة الحلي

تناول العلامة الحلي مبحث النبوة في كل كتبه العقائدية الشاملة والتي تناولت كل الابواب الاعتقادية، ولكننا سوف نعتمد بشكل كبير في هذا المطلب على كتابين من اهم كتب العلامة الاعتقادية وهما (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) و(مناهج اليقين في اصول الدين) لما يمثله من قطعية النسبة الى العلامة ومن اعتبارهما العلمي وعلو مطالبهما ودقة مباحثهما.

الفرع الاول: معنى النبوة وإمكانها

وهنا يتناول العلامة مباحث مهمة يجعلها مقدمة يمكن ان تسهم في حال البحث فيها عن رفع بعض الاشتباهات في المباحث الاساسية للنبوة.

١. **تعريف النبي من حيث المفهوم:** فالنبي عند العلامة هو (هو الانسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة احد من البشر)[٣٩].

وهذا التعريف يشتمل على عدة قيود، فبقيد الانسان خرج الملك وغيره ممن يخبر عن الله سبحانه وتعالى فلا يسمى رسولًا. وبقيد المخبر عن الله تعالى خرج الانسان الذي يخبر عن غير الله فلا يسمى رسولًا، وبقيد بغير واسطة احد من البشر يخرج العالم الذي يبلغ الاحكام الالهية فانه يخبر عن ارادة الله وما يقرب منه تعالى وما يبعد عنه تعالى الا ان هذا العالم ليس مخبراً مباشرة عن الله بل هو مخبر بواسطة بشرية.

٢. **امكان البعثة:** ان بعثة الانبياء تعدّ من البديهيات الدينية عند الاديان السماوية وبالخصوص الابراهيمية، ولكنها عند بعض الديانات الاخرى لا تعد كذلك، فينسب القول الى البراهمة والصابئة انكارها لذلك[٤٠].

ومن هنا حاول العلامة الحلي تناول هذا الموضوع واثبات امكان النبوة لتكون مقدمة واجبة يتوقف اثبات النبوة عليها، فلو كان بعث الانبياء مستحيلًا لكان مناقشة نبوة اي نبي عبثًا. وهناك العديد من الادلة التي ساقها العلامة لاثبات هذا الامكان، اوصلها الى اثني عشر دليلا مرتكزها جميعا قائم على اعتبار ان هناك حقائق واسراراً ومنافع في هذا الكون وفي العالم التالي والانسان بطاقته المحدودة لا يستطيع ادراك ذلك فلابد من وجود جهة ترشده وتهديه لهذه المنافع وتحذره من هذه المخاطر وهو دور الانبياء.

ولم يك العلامة ليتناول الادلة دون التعرض لما اورده المعارض بهذا الصدد، وعمادهم الشبهة الشهيرة التي تتلخص بان الانبياء إن أتوا بما يوافق العقل فهو تحصيل حاصل وان اتوا بما يخالفه فمن القبيح ان نترك ادراك العقل ونسير بهدي غيره. ومن اسا هذه الشبهة تتشظى العديد للتكاثر ولكن مردها جميعا لهذا لااساس.

ويجيب العلامة عن ذلك بتقسيم عقلي لمورد العلم، إذ إن ما اتى به الانبياء اما يوافق العقل او لا. فما كان يوافق العقل فاما يكون مما يدرك عقلا فتكون فائدة الانبياء عليه تأكيدا عليه، أو أن لا يكون مما يدرك عقلا فتكون فائدة الانبياء الارشاد اليه. او انه مما لا يوافق العقل فهو اما يكون العقل يحكم بنقضه فنسترشد بحكم العقل أو أن لا يكون للعقل فيه حكم فهنا تشتد الحاجة للانبياء فيه[٤١].

نعم يشتد الاشكال هذا اذا اقررنا بالتحسين والتقبيح الشرعيين[٤٢]، فيكون لا حكم للعقل بحسن البعثة وبالتالي تصبح خاضعة لرأي الشرع المتوقف على البعثة فيلزم الدور.

الفرع الثاني: طرق اثبات النبوة

لم يفرد العلامة الحلي مبحثًا عامًا بهذا العنوان ليبحث في اصل الموضوع ثم يعرج على تطبيقاته، والسبب بذلك بتصور الباحث أنه ليس موردا للابتلاء في عصر ما بعد ختم النبوة فان مباحث ما قبل نبوة نبينا محمد هي ليس محلا للابتلاء وما بعده نحن غير مكلفين بالبحث بنبوة غيره الا ما ورد فيه نص قطعي.

الا ان العلامة بحث مباشرة مسألة اثبات نبوة نبينا الاكرم والادلة على ذلك، وعلى هذا سوف نحاول استجلاء قواعد عامة تصلح الانطباق على اكثر من مصداق.

وقد ساق العلامة العديد من الادلة على ذلك يمكن تقرير ملخصها بايجاز:

١. **المعجزة:** إذ (إن النبي الاكرم ظهر، وادّعى النبوة، وظهر المعجز على يديه، وكل من كان كذلك كان نبيًا حقًا)[٤٣]. وهنا نجد عدة قيود او مقدمات يتوقف بعضها على بعض، فان النبي الاكرم شخصية حقيقية وليس شخصية تاريخية اثبتها المنقول فقط دون القرائن الاثرية او الحضرية. كما انه ادعى النبوة وفائدة هذا القيد انه ليس من اظهر المعجز فهو نبي بل لابد من قيد ان يدعي النبوة قبلها، والقيد الثالث انه اظهر المعجزة فعلا. اذن المستخلص : **ان كل من ادعى النبوة واظهر المعجز. فهو نبي.**
ويتناول العلامة اثبات ما تناوله في قاعدته اعلاه ويعتبر ان النبي قد ظهر وانه ادعى النبوة فهي ثابتة ولا تحتاج الى اثبات او استدلال عليه.
ثم يعطي قدرا من الاهمية لاظهاره المعجزة فيعرج على اثبات معجزات النبي الاكرم، واهم هذه المعجزات وفق ما ثبت لدى العلامة هي: (القران الكريم، اخباره بالمغيبات مثل انتصار الروم بعد غلبهم ودخول المسجد الحرام، انشقاق القمر، اشباع الخلق الكثير بالزاد القليل، ونبوغ الماء من بين يديه)[٤٤].
ولم يغب عن العلامة نقل مناقشات الخصوم بالمعجزات فمما تناوله من حججه عديدة اهمها:
طعنهم في التواتر الحاصل في نقل المعاجز، وان القران لو كان متواترا لم يحصل الاختلاف في قراءاته والنقولات عنه، ان العرب تركوا التحدي لما فيه من قلة البلاغة فلا يستحق بذلك المعارضة، وان هناك معارضة حقيقية للمعاجز ولكن المنتصر يفرض شروطه، وان الاخبار بالمغيبات أيضا يحصل من المنجمين أيضا. وغيرها اوصلها العلامة الى تسعة عشر اعتراضا[٤٥].
والمعجزة ليست مفهومًا واضح البيان والمعاني بل يحتاج الى تحديد لحدوده وبيان لمراميه، ولذا تجد المتكلمين يعطون تعريفا للمعجزة ذات قيود تعريفية، ومنهم العلامة في هذا المورد ولذا تراه يعطي للمعجزة تعريفًا محددًا ومقيداً بقيود، فيعرفه بانه أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة.
وقيود هذا التعريف كما يوضحها العلامة بأنه: امر، لانه لا يلزم من المعجز ان يكون فعلا فقد يمكن ان يكون المعجز منعًا خارقًا للعادة، ليخرج بهذا القيد الامر الذي اعتاده الناس فانه لايؤدي الى اثبات شيء او نكران شيء آخر.
الاقتران بالتحدي، الغاية منه لتمييز المكذب من غيره وايضا لتمييز الكرامات والارهاصات[٤٦].
وهناك تعريف آخر يذكره العلامة في بعض كتبه، وهو: ثبوت ما ليس بمعتاد او نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى[٤٧].

ولا يختلف عن السابق في حقيقته الا بقيد أنه مطابقة الدعوى لأنه تارة يكون هناك دعوى وخرق للعادة ولكن الخرق لا يطابق المدعى مثل من ادعى النبوة وخرق العادة بزيادة ماء البئر وهو قد اغاره بلحظة فهذا مطابق لتعريف المعجزة الا في الاخير.

ومن اهمية المعجزة وضع العلامة لها شروط بعضها ورد ذكرها من قيود التعريف، وهذه الشروط هي:

إن الامر معجزٌ في نفسه او ما مثله او ماهو مقاربه من قبل الامة المبعوث اليها، ومنه يفهم امكانية ان تكون المعجزة محددًا في وقت دون اخر فيمكن ان تكون المعجزة معجزة عند امة وفي زمان ولا يعد كذلك عند أمة اخرى او زمن اخر، ولا اعتقد ان العلامة يلتزم بهذا في خصوص القران الكريم اذ انه معجز لك امة ولكل زمان والا سقطت منه الحجة، نعم يمكن ان نفهم منه ايضا الرقي العلمي للامم ولذا تختلف ايات الله باختلاف الامم.

إن المعجزة لابد ان تكون من الله او بأمره، وهذا القيد ينفع في مناقشة المعجزة في عالم الثبوت اي عالم تحقق الشيء بماهو هو، ولا ينفع في عالم الثبوت اي عالم ان يثبت للآخرين.

وايضا ان المعجزة لابد ان تكون زمن التلكيف أي ليس زمن اشراط الساعة، لان العادة تنتقض حينها.

وكذلك انه لابد ان يكون عقيب دعوى المدعي للنبوة، والا انتقض بعدم حصول الغاية منه بالتحدي[٤٨].

ولم يولي العلامة اهمية لغير المعجزة دليلا على النبوة حتى انه صرح في بعض شروحه انها تعد الوسيلة الوحيدة والحصرية لاثبات النبوة[٤٩]

٢. **الاستدلال بأخلاقه وأفعاله على صدق مقالالته[٥٠].** وهذا الدليل يسوقه العلامة مع الشرح له، وهو مبني على ماتم تقريره على ضرورة ان يكون هناك كمال في القوتين العملية والعلمية ومن السيرة الحسنة للرسول الاكرم وتهذيب نفسه وكماله اخلاقيًا وعلميًا فلم ير منه قبيح في خلق او نقص في عقل، بل تطور الامر الى تربيته لغيره بدءا من الافراد الى أن اصبح معلما ومهذبا لجيله ولما اتى من أمته وغيرها ايضا.

وهنا يمكن ان نجعل هذه القاعدة بغض النظر عن النقاش فيها: ان كل شخص كمل خلقه وعلمه وحسنة سيرته وادعى النبوة فهو صادق.

٣. **اخبار الانبياء المتقدمين على ظهوره ونبوته وصدق مقالاته[٥١].** وهذا الاخبار والبشارات والتنصيص عليه بالاسم في بعضها دليل صريح على نبوته. ومنها يمكن ان نجعل قاعدة كلية تصاغ بانه من ادلة نبوة النبي هي النص عليه من نبي اخر غيره[٥٢]. واعتبرها بعض الاعلام انها اول ادلة النبوة وتسبق المعجزة في الدلالة من حيث الاعتقاد.

الفرع الثالث: صفات النبي

وهذا الفرع يحتل من الاهمية بمكان لانه ذو جانبين احدهما متعلق بالشروط توفرها في النبي لنفسه اي لادراك النبي ذاته نبوته وتمييزه بين الايحاء الرباني من الشيطاني، وتارة يستفيد منها باقي الناس لادراك النبي الالهي من غيره. اي انها من السمات ذات النقاش في عالم الثبوت وهو عالم الحقيقة بما هو هو، وفي عالم الاثبات الذي يثبت الشيء لغيره.

لم يتعرض العلامة الحلي كثيرًا لصفات النبي ولم يعطه الاهمية التي تكشف عن دوره الكبير في تمييز النبوة الحق من الادعاء.

نعم بين اهم صفات النبي شارحًا مرادات الخواجة نصير الدين الطوسي في هذا الامر وعدم اعتراضه دليلًا على تبنيه لذلك مع البيان ان ذكرها ليس من باب الحصر لها، ومن اهمها : كمال العقل وان يكون غاية الذكاء والفطنة ولا يصلح ان يكون مترددًا في الرأي ولا يصح عليه السهو وايضا لابد ان يكون منزها من دناءة الاباء وعهر الامهات ولا يكون فيه الفظاظة والغلظة وحتى الامراض وعلة ذلك النفرة وهي تدور مدار اغلب الصفات التي ذكرها العلامة ونص على ذلك وتصل الى تحييد فعله في المباحات[٥٣].

وأعاد ذكر ذلك في الباب الحادي عشر من اختصاره لكتاب مصباح المتهجد للشيخ ابوجعفر الطوسي وسماه منهاج الصلاح في مختصر المصباح، ونص في بابه ان الصفات غايتها (لما في ذلك من النقص فيسقط محله من القلوب والمطلوب خلافه)[٥٤].

وخير من أعاد صياغة مراد العلامة في هذا الموضوع هو الشارح لرسالته الباب الحادي عشر اذ انه يمكن بيان اهم السمات الكلية للنبي تقسم على قسمين اساسيين هما :

القسم الاول : المتعلق بغيره بمعنى لا تتعلق بالنبي بشخصه انما تتعلق بغير النبي ولكنها تأثر في النبي مثل (دناءةالآباءوعهرالأمهات) فانه لا يمكن لنبي ان يكون من سلالة دنيئة تؤدي لاشمئزاز الناس منه وعدم القبول لقوله، وهذا الشرط ليس تحت ارادة واختيار النبي انما يكون خارجا عن ارادته فالله هو من يصطفي الانبياء ليجعلهم موضع قبول الناس.

القسم الثاني : متعلق بنفس النبي ويتفرع الى ثلاث ففرع متعلق بوضعه النفسي فلا يمكن للنبي ان يكون بوضع نفسي يجعله موردا استهزاء او اشمئزاز فيسقط محله من القلوب كالجنون وغيرها من الامراض النفسية فان هذه الامور ليس باختيار الانسان اذن هي لا ارادية وهي متعلقة بشخصه الكريم.

وفرع متعلق بخَلقه بمعنى بمقومات جسده فلا يمكن ان يكون النبي فيه عاهة ظاهرة او شكل قبيح او كل امر جسدي يؤدي به الى مورد الاستهزاء او عدم تفاعل الناس معه ولا نقول هنا انه يجب ان يكون كل نبي جميلًا كيوسف لا بل يجب ان لا يكون قبيحا حتى لا تنفر الناس منه.

وفرع متعلق بسلوكه وهذا متعلق بنفسه وبارادته هذه المرة ونعني انه لا يمكن ان يسلك سلوكًا فيه اي ترك للواجبات او ارتكاب لمحرمات فلا يمكن ان نتصور النبي وهو يفعل ذلك على الاطلاق. لا بل ان الامر يترقى ان النبي لا يفعل بعض الامور المباحة في الشريعة فلا يليق بالنبي ان يأكل وهو يمشي في الاسواق مثلا فنضع هنا قاعدة (ان النبي لا يفعل كل ما يخل بالمروءات)

وبعد هذا كله فانه لم يركز العلامة على صفة من صفات النبي مثل تركيزه على العصمة بل عدّها عماد النبوة ولا يمكن تصورها بدونه، ويعتبرها نوعًا من انواع اللطف الواجب على الباري تعالى. ويعرفها بانها (لطف يفعل الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك لانه لولا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله فانتفت فائدة البعثة وهو محال)[٥٥].

وهنا عدة قيود في التعريف تحتاج ايضاح ولكل منها بعد معرفي او اشكال اراد العلامة دفعه، فبقيد اللطف خرج الجبر وان العصمة اختيار من الله وليس جبرا منه للعبد والا لما استحق المدح، ويؤكد ذلك (مع قدرته على ذلك) نعلم ان المعصوم غير مجبر بل مختار ولكنه اختار طريق ترك المعاصي ولو كان مجبرًا من الله على ترك المعاصي لما استحق الثواب .

والعلة من العصمة كصفة تشترك بنظر العلامة مع باقي الصفة في الداعي الى تحققها في النبي وهي: تحقق الوثوق بقوله وعدم وجود المنفرات وكلاهما يلتقيان بالتعاكس فكل ما يحقق الوثوق يبعد عن المنفر وكل ما ينفر يؤدي الى عدم الوثوق.

كما انه اورد تعميمًا اخر كاشفًا عن الصفات النبوية وهي: اعتباره افضل اهل زمانه مستدلًا بان عكس ذلك يؤدي الى تقديم المفضول على الفاضل وهو قبيح عقلًا وسمعًا لقوله تعالى (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَايَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يونس ٣٥[٥٦]. وهذا المعيار الذي طرحه العلامة والذي يمكن تأطيره بصيغة القضية القياسية بالقول: (ان كل نبي هو افضل اهل زمانه).

وبهذا فان الافضلية باطلاقها دون ان تحدد بنوع معين من الفضائل او الصناعات او غيرها فيه معادلة ترجيح على الغير باطلاقه.

المطلب الثالث: المناقشة والترجيح بين الاكويني والعلامة الحلي

وفي هذا المطلب سوف يتم محاولة المناقشة والترجيح للاراء المطروحة في المطلبين السابقين واللذين كانا مخصصين الى استجلاء اراء العلمين من المصادر المتوفرة بين ايدينا واللاتي هما من بنات افكارهما.

الفرع الاول: الادلة اليقينية

ونقصد به هنا المعجزة وفق رأي الباحث، فانه غير المعجزة بنظر الباحث لا تولد اليقين القطعي غير القابل للاشتباه او الخطأ، لانه كما سيرد الادلة الباقية منفردة لا تولد اليقين القطعي في اثبات دعوة مدعي النبوة.

وحتى المعجزة بالتعريف الذي ذكره العلامة وفق المحددات التي وضعها في التعريف، ومع ان الاكويني مر عليها مرور الكرام ومع اعطائها الاهمية في الذكر باعتبارها من السمات التمييزية في النبوة الصادقة من غيرها الا انه لم يُعطيها حقها في البحث في حيثياتها، ولم يقع بيدي ف المصادر الاخرى للاكويني والتي تكلم فيها في مناحي الدين المتعددة الا انه لم يفرد للمعجزة شيئًا مستقلاً يستحق ان يطلق عليه انه دراسة منفردة واضحة المعالم ومحددة الاتجاهات.

ومن هنا فإنّنا امام طرحين طرحهما الاكويني والعلامة بشأن المعجزة وفقها اعتبر الاكويني المعجزة سمة ودلالة على النبوة الصادقة ولكن لم يحدد هل تعدّ سمة وحيدة قائمة بذاتها يمكن الاستناد اليها منفردة في تمييز النبوات بل سياق الكلام اعتبرها واحدة من اهم السمات التي استند اليها في التمييز.

أمّا العلامة الحلي فإنه صرّح كما سلف في المطلب السابق بأن المعجزة هي الدليل الوحيد على صحة دعوى النبوة واسس لقاعدة كلية مفادها (إن كل من ادعى النبوة وأتى بالمعجزة فهو نبي) نعم ركز العلامة وبحكم اهمية النبوة على وضع شروط ومحددات لتمييز النبوة عن غيرها.

ولكن في هذا الصدد يمكن القول نقاشًا للعلمين:

١. إنّ المعجزة عند الاكويني تعد من السمات المهمة التي إذا أضيفت الى السمات الأخرى فستكون مرجحا ودليلًا ومميزًا على صحة النبوة، واما عند العلامة فانه تارة اعتبرها دليلا منفردًا وحيدًا كافيًا بمفرده في اثبات صحة الدعوة وما تشدده في اضافة الشروط لها الا كاشفا عن اهميتها، ولكن ايضا يمكننا ان نفهم من تركيز العلامة على أمور أخرى ماعلق بشخص النبي كصفاته وافضليته وغيرها ما هو الا دليلٌ على عدم الاكتفاء من قبل العلامة بالمعجزة دالة منفردة في النبوة.
٢. إن المعجزة كما مر يمكن تمييزها من قبل النبي ذاته بأنها من الله، ولكن الخطاب الاهم كيف يستطيع الناس تمييز المعجزة من الخوارق الاخرى كالسحر مثلا او العاب الخفة او حتى التطور التقني التكنلوجيا، ومن هنا فان المعجزة في عالم الثبوت تعد دليلًا على الدعوى ولكن المشكلة في عالم الاثبات وما يعانيه الفرد من مصاعب لتمييزها عن غيرها.

ولم أجد من الاكويني والعلامة ما يمكن ان يعدّ مرشدًا ناهضًا لسوق الكلام الى المعجزة والنهوض بها دليلًا منفردًا او ساندًا.

نعم يمكن من خلال الشروط التي طرحها العلامة للمعجزة تمييزها الى صنفين صنف يتعلق بعالم الثبوت وصنف في عالم الاثبات او قل عالم المكلف والتكليف، ومن شروط عالم الاثبات مثلًا عجز الاخرين عن الاتيان بمثلها وان تكون في زمن التكليف اي قبل إشراط الساعة ويكون لها علاقة زمنية بادّعاء المدعي لتكون عرفا دالاً عليه وان تكون خارقة للعادة[٥٧].

وهذه الشروط تمتلك المعيارية في امكانية محاكمتها والنقض عليها، فيما يعد شرط (إن المعجزة من الله)[٥٨] فهذا وان كان شرطًا في المعجزة ضروريًا الا أنّه لا يمكن قياسه ومعرفة انطباقه وتحقق لدى المكلفين، نعم يمكننا جعله من شروط عالم الثبوت اذا نظرنا اليه من زاوية النبي الاخر، اي في حال ان هناك نبيًا في زمن وادعى اخر النبوة واتى بالمعجزة وعلم النبي الاول بالوحي الالهي أن هذه المعجزة من الله فانها يتحول هذا الشرط الى معيارية تقاس من معايير عالم الاثبات وليس مختصة في عالم الثبوت.

وفي الاتجاه نفسه تزداد الامور مطابقة بين الاكويني والعلامة في هذه النقطة عندما يبحث الاكويني مسألة خوارق المسيح الدجال وتحققها ليصل الى نتيجة مفادها إمكان ذلك باعتبارها آيات الكذب وان كانت في حقيقتها ليست معجزة إلهية[٥٩]، الا انه يجري الكلام فيه كما هو سابقا من التمييز من هذه الايات الكاذبة او المعجزات يتم في عالم الثبوت والحقيقة ولكن عالم الاثبات سوف تختلط الحقائق على الناس.

نعم في احتمالية قيام الشيطان بالخوارق ليلبس على الانسان يأتي الرد من الاكويني إيجابا الا انه يضع محددات لمدى المساحة المتاحة للشيطان في ذلك فيؤكد انه غير ممكن في حالات فان تحقق بها فهو خيال ووهم:

- عدم إمكان تحول الهيولى الجسماني الى هيئة اخرى كتحول الجسد الانساني الى بهيمي.
- عدم إمكان تحول كل مالايمكن تحوله في الطبيعة كانبعاث الجسم الميت[٦٠].

وممّا يبادر به الاكويني انه يضع ضابطة خارجية تدل على تمييز المعجزة من السحر وهي الغاية من الاستعمال فان السحرة غايتهم المنفعة والتلسط والرسل غايتهم الخدمة والهداية[٦١].

٣. ربما لا نبالغ أو لا ندعي جزافًا من القول اذا اعتبرنا ان جميع الاديان التي تعتقد بتحقق المعجزة فهي تعدّها اولا خرقًا للعادة ثم تاتي الشروط الاخرى، وبالتالي فانه لا يقع الكلام في تحقق الخرق للعادة في المعاجز انما تقع الضابطة التي نستطيع ان نقول أنها خرق ام ليست بخرق كما في السحر وايضا لابد من البحث هل الخرق حالة متحققة في زمن ما عبارة الى كل الازمان ام هو حدث متعلق في زمنه وينتهي بانتهائه ويمكن ان يتكرر في زمن اخر ولا يحمل سمة المعجزة.

والمثال على ذلك في الحالة الاولى نستطيع ان نقول أن عصا موسى التي تلقف ما يأفكون هي حالة حصلت في زمن ما ولا يمكن ان تتكرر الى يوم القيامة الا من قبل موسى نفسه، وتارة نعتبره امرأ خارقاً لا يمكن أن يتكرر في زمن آخر الا من قبل نبي اخر. وبذلك تكون المعجزة غير قابلة للتكرر لمن هم ليسوا بانبياء.

وفي الحالة الثانية فإننا نفترض أن المعجزة خرقاً للعادة متعلق بزمانه ومكانه فقط ويمكن ان يتكرر خارج زمانه ولا يمكن ان تتكرر خارج مكانه معاصرًا، ومثال ذلك ابراء الاعمى فانه تارة نعدّه من الحالة الاولى فنؤكد بذلك ان لا يمكن ان يأتي يوما نجد فيه قيام انسان ليس بنبي بإبراء الاعمى او ان نذهب للحالة الثانية وهي انه يمكن ان يتحقق الابراء في زمان اخر لانه الغاية من الاعجاز هو الاثبات الاني لحادثة محددة.

طبعا كلتا الحالتين تواجهان اشكالية تتعلق بماهية الخرق اذ يمكن ان يدعي احد انه نبي ويأتي بمعجزة العلم توصل اليها كل ما هنالك انه الوحيد الذي استطاع الوقوف على هذا السر العلمي.

و الاكويني تعرض لهذا الاحتمال عندما بحث اشكالية ان المعجزة هل هي فعل يمر بالوضع الطبيعي وخفي سببه ام أنّه من الله وهو ما رجعه الاكويني معتبرا انه ليس كل ما كان مثيرًا للتعجيب ومجهولية الصدور او السبب يستحق ان نطلق عليه المعجزة[٦٢]، وعند العلامة الحلي وجدنا عبارة ربما تقود الى اعتقاده بهذه الاحتمالية اذ يقول: (ولابد في المعجز من شروط احدها ان يعجز عن مثله او ما يقاربه الامة المبعوث اليها)[٦٣]، وهو يمكن اعتباره من الشروط المتعلقة بزمكانية المعجزة وقد تشير الروايات بعض الروايات الى ذلك وابرزها ما روي عن الامام الرضا حينما سئل: لماذابعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمدا – صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء – بالكلام والخطب؟. فكان جوابه شافيا ناخذ منه محل الشاهد بمقاطع وهي:

- إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر.
- وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب.
- وإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام.

فقال السائل: تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه[٦٤].

ومن هذه المقاطع اعلاه نلحظ اثر الزمان والمكان في اختيار المعجزة وايضا يمكن ان نفهم سقوط تمام حجتها وبقاء بعض حجتها، بما فيها القرآن، ولو كان الامر عكس ذلك لما احتاج الراوي للسؤال عن الحجة في عصره، وان كان هذا الاحتمال يدفع بإعمامات التحدي القرآنية المثبتة للاعجاز غير المقيد بالزمان فترجح الاية على الرواية عند التعارض.

٤. كما إنّ كلا العلمين لم يبحث في نقاط متعلقة بالمعجزة مثل:

- العلاقة بين تطور العلوم الطبيعية والمعجزة.

- هل المعجزة لخرق لقوانين الطبيعة ام استعمال قوانين طبيعية اخرى لكسر القوانين الطبيعية الاولى؟
- حجية المعجزة لزمن المشاهدة او تتعداها الى الازمنة الاخرى. ماعدا القران الكريم الذي نص العلامة على انه معجزة ابدية.

الفرع الثاني: الأدلة المعتمدة على السيرة

وهي الأدلة التي تعتمد ليس باطلاقها، ولكن تحتاج الى الترجيح ومناقشة شروطها وشرائطها وتحويلها الى معيارية تدرك بالقياس.

فإنّ السيرة الحسنة تحمل من الدلالات التي تجعل قبول القول يحمل من المنطقية الشيء الكثير، والعكس كذلك فإن الاتيان بالمعجزة وادعاء الدعاوى الكبيرة او الصغيرة مع السيرة غير الحسنة تجعل قبول القول من الاخرين محط تشكيك واتهام، وما ذلك الا لما تحمله السيرة من اهمية تصل الى مرحلة التأثير في مقبولية الافكار من عدمها.

والاكويني وإن لم ينص على السيرة دليلًا على صحة النبوة الا انه بالرجوع الى ما كتبه بهذا الصدد وتشخيصه لبطلان السيرة كعلامة من علامات النبوة الكاذبة، وهذا يعكس كونها احد مرتكزات تميز النبوات، وكما اعتبر النية والبراءة أردية للنبوة الصادقة وهذه الاردية بواقعها ترجع الى حسن السيرة وبتماس مباشر بالسيرة من اي محور آخر، وايضا تندرج تحت المحور ما اعتبره الاكويني ثمارًا للنبوة الصادقة فان (حب الله والقريب، الكلمة الصالحة، العمل الصالح والصبر في المحن) هي اقرب الى السيرة منها الى اي محور اخر من محاور تمييز النبوات.

والسيرة لا تطلق على السيرة الحسنة فقط بل تعدّ السيرة غير الحسنة ايضا من مميزات النبوة الكاذبة وتدرك بعكسها النبوة الصادقة، فان (اختطاف خيرات النفس تبديد جماعة المؤمنين عدم الشفقة المواظبة على الشرور) كلها تعد من الامور التي تدخل ضمن اعمال السيرة وبالتالي تسهم في التقييم على اساس السيرة غير الحسنة ويترتب على ذلك عدم قبول القول بأنهم مبعوثون إلهيين.

أمّا العلّامة الحلي فإنه يعطي لهذا المحور اهمية فتارة يصرح بانه من ضمن ادلة النبوة الصادقة كما مر، فإن تعبيره بان الاستدلال بأخلاق النبي وأفعاله دالٌ على صدق مقالاته، يحمل من المعاني الكثير لما يراه العلامة من اهمية للسيرة الحسنة وللسلوك الانساني، ولم يكتف بذلك بل انه اشترط في البي صفات كانت هي المائز الاخر في انطباق المصادق النبوي على الفرد من عدمه ومن هذه الصفات اعطى اهمية للسلوك الانساني وذلك عبر اعتباره العصمة شرطًا اساسيًا في النبوة وما العصمة في احد مراحلها الا السلوك الحسن.

والعصمة بذاتها تصريح بان السيرة ركن اساس في تصديق المدعي من عدمه، وهي في عالم الثبوت تصدق النبوة وتعاضدها، ولكن في عالم الاثبات والدليل فانه يمكن ان تعمل المعجزة والعصمة عمل المترادفان بأن يصدّق احدهما الآخر فإذا صدقنا بعصمة شخص اقررنا بنبوته عند الادعاء وصدقنا بمعجزته، والعكس فانه لايمكن التصور المعجزة من دون العصمة ولو في بعض مراحلها[٦٥].

الفرع الثالث: الأدلة المعتمدة على المنظومة الفكرية

ويقصد به انه يمكن اعتبار المنظومة الفكرية أو البعد العلمي بطبيعته العلمية بعيدًا عن الجانب الغيبي او الجانب السلوكي للنبي، وهذا يعتمد بصورة كبيرة على العقل العلمي للنبي، ومقدار مطابقة ما يتم طرحه مع مجريات العلم.

ويمكن تصور هذا الجانب بعدة محاور فالتعليم الاخلاقي يعد منها والعصمة الفكرية في القضايا النظرية وموافقة ما يطرحه لعلوم العصر باطارها العام وان لايكون متناقضا مع العقل والاستدلال العلمي وايضا يمكن لحاظ الموقف العلمي والحد الوسط بشأن القضايا محل عدم الجزم العلمي ومحاولة الترجيح علميا او ما تسمى بنطقة الفراغ العلمي وهي التي تكون مجالا للنظريات والافتراضات العلمية.

ولم يعطِ الاكويني هذا المحور مجالًا واسعًا في تشخيصه للنبوة الكاذبة، اذ لم يتناول في ذلك الا بطلان التعليم كواحدة من السمات السلبية وواضح انه يقصد منه التعليم في القضايا الدينية ولكن يمكن توسيع المناط في العبارة لتشمل عموم التعليم اذ كان العلم ولاسيما الطب في زمن النبي عيسى منتشرا فيكون حتما من موارد التدخل النبوي في الشأن الحياتي، ولنا ان نتصور التفاعل الشعبي مع نبي جاهل بالتكنلوجيا تماما في زمننا هذا.

اما العلامة الحلي فانه قد اعتبر القوة العلمية في بعدها النظرية والمتمثل بالعقل العملي فقد اعطاها حيزًا لاثبات نبوة النبي الاكرم وساقه دليلا على نبوته[٦٦].

وهذا المستوى من العلوم يصح ايضا دليلًا تقابليًا فمن سعة علمه يمكن التصديق بقوله في ادعاء النبوة والعكس ايضا اي ولكونه نبيا لابد ان تكون له سعة علم.

كما انه يمكن اعتبار ما ذهب اليه العلامة الحلي صراحة في النبوة عندما لم يجوز ان يكون احد غير النبي افضل منه، لانه يلزم منه تولية المفضول مع وجود الفاضل، ولو في بعض العلوم او الفنون. اي لابد ان يكون النبي أعلم اهل زمانه في كل شيء. ويؤيده في ذلك المرويات التي وردت عن سعة علم الائمة وحتما النبي الاكرم افضل منهم.

الخاتمة

إنّ الدراسة المقارنة لشخصيات اساس في الاديان المختلفة، يولد رؤية وانطباعًا ربما لا يدرك عند دراستنا لديانة ما مستقلة بدون المقارنة.

ويمثل توما الاكويني والعلامة الحلي شخصيات لها اثرها في محيطها وما اتى لاحقا في الاجيال، ومن هنا تكتسب دراسة افكارهما وارائهما اهمية ومعرفة مضافة.

كما أن اثبات النبوة لا يعد دراسة اعتقادية ذات امتداد تاريخي فقط، بل يمكن اعتبارها مهمة بالمعاصرة اليوم، لما نراه من كثرة الدعوات من الارتباط بالالهة. وان تعددت تلك الدعوات بين النبوة أو الامامة او المهدوية او البابية للمهدي وغيرها. وبالتالي فإنّنا بحاجة لقراءة الماضي قراءة نقدية، لإعادة صياغة افكارنا إزاء الحوادث المعاصرة.

ومن مجموع ما مر فإنّه يمكن ان نلحظ انه تشترك الاديان السماوية في الكثير من المفاهيم والاراء والسمات بل حتى الاخطار والهموم، كما انه نلحظ ان التراث الانساني بالمقارنة يمكننا من مسك خيوط الاتفاق للنسج منها مشروعًا موحدًا ازاء الحركات الضالة كلًا حسب مفهومه ولكن وفق المشتركات، وايضا يمكننا ان نلحظ انه لا يوجد دليل بذاته يمثل قوام التصديق للنبوة، بل يمكن القول باطمئنان بان الايمان والتصديق هو حالة في النفس تتولد بالاطمئنان للدعوى المعلنة، وهذا الاطمئنان يحصل بتظافر كافة المحاور فاننا بحاجة الى منظومة اخلاقية وسلوكية وتتلازم معها المنظومة الفكرية المعبرة عن الارتباط الالهي، وهنا تجيء المعجزة لتثبت ذلك تثبيتا لا يمكن ان يتزحزح. والا فان كل محور منفصلٌ عن الاخر يمكن ان يتطرق اليه النقاش والشك، وتجري عليه المجادلة والمعاندة، ولكن اجتماعها معا يقلل من نسب التشكيك وترتفع نسبة الاعتبار في القول الوارد.

الهوامش

[١] للمزيد مراجعة: توما الاكويني معلم المعلمين، بولس الفغالي، مقدمة لكتاب رسالة الاكويني في الرد على المسلمين، لويس صليبا، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٦، ط٢، ص٧-٢٦.
[٢] صليبا، لويس، قاموس الفلسفة المسيحية، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٢، ط١، ص١٤٠.
[٣] هنري توماس و دانالي توماس، الاكويني سيرة فيلسوف، stratsford Book، نيويورك، ١٩٥٩، ط١. نقل بتصرف في كتاب: توما الاكويني واثره عبر العصور، جمع وتحقيق وترجمة لويس صليبا، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١١، ط١، ص٨٣-٩٥.
[٤] حنفي، حسن، تطور الفكر الديني الغربي الأسس والتطبيقات، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٤، ط١، ص٤٣-٦٧;المنقول مقطع منه بعنوان (الفكر المسيحي في عصر الاكويني) في كتاب توما الاكويني واثره عبر العصور، م س، ص١٤٨.
[٥] للمزيد يراجع: توما الاكويني والاسلام بحوث في مصادره الاسلامية وردوده على الفلاسفة، لويس صليبا، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١١، ط١.
[٦] الاب بطرس فرماج اليسوعي، مروج الاخيار في تراجم الابرار، مطبعة اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٠، ط٢ ص١٥١-١٥٤; والنص كاملا موجودا في كتاب : توما الاكويني واثره عبر العصور، لويس صليبا، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١١، ط١، ص٧١-٧٩.
[٧] وهي تعني الكتب التي تجمع سير القديسين التي تتلى في الكنائس.
[٨] للمزيد حول هذه الحقب ومميزاتها يراجع: غسان فنيانس، التومائية، مقالة في الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ط١، ص٤٢٥-٤٤٩. والمنقول ضمن فصول كتاب: توما الاكويني واثره عبر العصور، م س، ص٢٨٩-٣٥٩
[٩] م ن، ص١٦٥.
[١٠] للمزيد حول الجهد العلمي لتوما المنقول للكنيسة الارثوذكسية يراجع: فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية، لويس غورديه وجورج قنواتي، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ط٢، ج٢، ص٢٤٧-٢٦٧. والفصل منقول في كتاب : توما الاكويني واثره عبر العصور، م س، ص٣٦٣-٣٨٤.
[١١] للمزيد يراجع: الخلاصة اللاهوتية، توما الاكويني، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٤، ب ط، ج٥، ص٥-٢٧٢.
[١٢] للمزيد يراجع: تاريخ الفكر السياسي، ابراهيم دسوقي اباظة وعبدالعزيز الغنام، دار بيبليون، باريس، ٢٠٠٦، بلا ط، ص١٢٠-١٣٤. والمنقول بتصرف في : توما الاكويني واثره عبر العصور، م س، ص٣٩٩-٤١٥.
[١٣] للمزيد يراجع: مقدمة مركز الدراسات والتحقيقات الاسلامية التابع لمنظمة الاوقاف والشؤون الخيرية على كتاب العلامة مناهج اليقين في اصول الدين، دار الاسوة للطباعة والنشر، طهران، ١٤٣٠هـ ق، ط٢، تحقيق الشيخ يعقوب الجعفري المراغي، ص٧-٣٠; مقدمة التحقيق لكتاب مختلف الشيعة في احكام الشريعة، العلامة الحلي، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ١٤١٢هـ ق، ط١، ص١٧٠.
[١٤] للمزيد حول اهمية هذا الكتاب يراجع: مقدمة التحقيق بقلم الشيخ حسن حسن زاده الاملي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ ق، ط١٠، ص٥-٢٢.
[١٥] العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، الالفين، دار التعارف للمطبوعات، بلا، ٢٠١٠م، ب ط.
[١٦] ومن اشهر كتبه بهذا الصدد : تحرير الاحكام الشرعية على مذهب الامامية،
[١٧] من خلال كتابه : منتهى المطلب في تحقيق المذهب،
[١٨] من خلال كتابه : مختلف الشيعة في احكام الشريعة، م س.
[١٩] م ن، ص٦٧
[٢٠] نشر من قبل جامعة الامام محمد بن سعود في جدة بتسعة مجلدات وبتحقيق محمد رشاد سالم.
[٢١] مقدمة مختلف الشيعة في احكام الشريعة، م س، ص٥٤
[٢٢] م ن ص٥٦
[٢٣] م ن ص٥٧
[٢٤] م ن ص٥٩
[٢٥] الحلي، الحسن يوسف، مختلف الشيعة، م س، ص٨١
[٢٦] صليبا، لويس، رسال الاكويني في الرد على المسلمين، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٦، ط٢ مزيدة ومنقحة، ص١٤٧، ويضمن رسالة لاكويني بعنوان: في النبوة والانبياء الكذبة، ص١٣٥-١٦٨
[٢٧] رسالة الانبياء الكذبة، م س، ص١٤٨.
[٢٨] م ن، ص١٤٩

[٢٩]رسالة الانبياء الكذبة، م س، ص ١٥٠
[٣٠]م ن، ص١٥٠-١٥١
[٣١]م ن، ص١٥٢
[٣٢]رسالة الانبياء الكذبة، م س،ص١٥١-١٥٣
[٣٣]م ن،ص١٥٤.
[٣٤]رسالة الانبياء الكذبة،م س، ص١٥٥.
[٣٥]م ن، ص١٦٠-١٦٤
[٣٦]م ن، ص١٦٦
[٣٧]رسالة الانبياء الكذبة، م س، ص١٦٦-١٦٨
[٣٨]م ن، ص١٦٤-١٦٥
[٣٩]العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، مناهج اليقين في اصول الدين، م س، ص٤٠٣
[٤٠]للمزيد حول هذه الاراء والحجج والردود يراجع: المطالب العالية في العلم الالهي، محمد بن عمر الفخر الرزاي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١، تحقيق احمد حجازي السقا، ج٨، ص٧-٣٣.
[٤١]للمزيد يراجع: منهاج اليقين في اصول الدين، م س، ص٤٠٦; كشف المراد، م س، ص٤٦٩.
[٤٢]للمزيد حول مباحث التحسين والتقبيح يراجع: المحصول في علم الاصول، محسن الاعرجي، مركز المرتضى لاحياء التراث والبحوث الاسلامية، النجف الاشرف، ٢٠١٦، في جزئين، تحقيق هادي الشيخ طه، ج٢، ص٤١١-٤٢٢
[٤٣]العلامة الحلي، مناهج اليقين، م س، ص٤١٠
[٤٤]م ن، ص٤١١-٤١٣
[٤٥]م ن، ص٤١٢-٤١٥
[٤٦]م ن، ص٤٠٣
[٤٧]العلامة الحلي، كشف المراد، م س، ص٤٧٤.
[٤٨]العلامة الحلي، كشف المراد،م س، ص٤٧٥
[٤٩]م ن، ص٤٧٤
[٥٠]العلامة الحلي، مناهج اليقين، م س، ص٤١١
[٥١]م ن، ص٤١٢
[٥٢]المحسني، محمد اصف، صراط الحق، ذوي القربى، قم المقدسة، ١٤٢٨هـ، ط١، ج٣، ص٤٠
[٥٣]العلامة الحلي، كشف المراد، م س، ص٤٧٢
[٥٤]المقداد السيوري، النافع في يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، انتشارات العلامة، قم المقدسة، ١٤٠٩، ب ط، ص٦٥.
[٥٥]م ن، ص٦٢; وقريب منه: مناهج اليقين، م س، ص٤٢٤
[٥٦]المقداد السيوري، النافع يوم الحشر، م س، ص٦٤
[٥٧]العلامة الحلي، كشف المراد، م س، ص٤٧٥
[٥٨]م ن، ص٤٧٥
[٥٩]الاكويني، توما، الخلاص اللاهوتية، م س، ج٣، ص١١٢
[٦٠]م ن، ج٣، ص١١٢-١١٣
[٦١]الاكويني، توما، الخلاصة اللاهوتية، م س، ج٣، ص١١٣
[٦٢]م ن، ج٣، ص١٦-١٧
[٦٣]العلامة الحلي، كشف المراد، م س، ص٤٧٥
[٦٤]الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٥، ط١، ج١، ص٢٤.
[٦٥]للمزيد: مناهج اليقين، م س، ص٤٢٤-٤٢٧;كشف المراد، م س، ص٤٧١-٤٧٢
[٦٦]العلامة الحلي، منهاج اليقين، م س، ص٤١٢

المصادر

١. ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية، نشر من قبل جامعة الامام محمد بن سعود، جدة، ١٤٠٦هـ، ط١، تحقيق محمد رشاد سالم.

٢. الاعرجي، محسن، المحصول في علم الاصول، مركز المرتضى لاحياء التراث والبحوث الاسلامية، النجف الاشرف، ٢٠١٦، في جزئين، تحقيق هادي الشيخ طه.

٣. الاكويني، توما، الخلاصة اللاهوتية، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٤، ب ط، عربها عن اللاتينية المطران بولس عواد في ٦ أجزاء.

٤. الرازي،محمد بن عمر الفخر،المطالب العالية في العلم الالهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط١، تحقيق احمد حجازي السقا.

٥. صليبا، لويس، توما الاكويني واثره عبر العصور، جمع وتحقيق وترجمة لويس صليبا، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١١، ط١.

٦. صليبا، لويس، توما الاكويني والاسلام بحوث في مصادره الاسلامية وردوده على الفلاسفة، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١١، ط١.

٧. صليبا، لويس، رسالة الاكويني في الرد على المسلمين، ، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٦، ط٢.

٨. صليبا، لويس، قاموس الفلسفة المسيحية، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ٢٠١٢، ط١.

٩. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، الالفين، دار التعارف للمطبوعات، بلا، ٢٠١٠م، ب ط.

١٠. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تحرير الاحكام الشرعية على مذهب الامامية، مؤسسة الامام الصادق، قم المقدسة، ب ط، تحقيق ابراهيم البهادري.

١١. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ ق، ط١٠، تحقيق الشيخ حسن حسن زاده الاملي.

١٢. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، مناهج اليقين في اصول الدين، دار الاسوة للطباعة والنشر، طهران، ١٤٣٠هـ ق، ط٢، تحقيق الشيخ يعقوب الجعفري المراغي.

١٣. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، نشر وتحقيق مجمع البحوث الاسلامية، مشهد المقدسة، ١٤٢٩هـ، ط٣.

١٤. العلامة الحلي، الحسن يوسف، مختلف الشيعة في احكام الشريعة،تحقيق ونشر مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ١٤١٢هـ ق، ط١.

١٥. الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٥، ط١.

١٦. المحسني، محمد اصف، صراط الحق، ذوي القربى، قم المقدسة، ١٤٢٨هـ، ط١.

١٧. المقداد السيوري، النافع في يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، انتشارات العلامة، قم المقدسة، ١٤٠٩، ب ط.